كلمــة الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري

عضو مجمع اللغــة العربية

سيدي وزير التعليم العالي

سيدي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

سادتي الأعضاء

سيــداتي ، سادتي

يعجز لساني ويقصُر قلمي عن أداء واجب الشكر الى السادة الأجلاء والجهابذة النبغاء ، أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، لتكرمهم بانتخابي عضوا في مجمعهم الموقر ، معرباً لهم عن خالص امتناني ، وعن عظيــم تقديري لهذا الانتخاب الذي أعُدُّه أجلَّ شرف أصبته في حياتي . وأخُص بالشكر السيد الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والسيد الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي لما جاء في كلمة كل منهما من عبارات الثناء التي إن صدقت على امرىء فانما تصدُق عليهما .

وخليق بي في هذا الموقف المهيب أن أستعيد ذكرى والدي ذي الفضل الأول في تربيتي ، ووالدتي التي حدِبت علي ورعتني وثقفتني بعد وفــاة والدي وأنا لا أزال طفلا ، الى أن بلغتُ أشُدّي ، كما يليق بي أن أعــرب عن أصدق شعائر الوفاء لأساتذتي الذين زينوا لي حبَّ العلم وحبَّ اللغة العربية ، في المدرسة الصغيرة التي تغسِل قدميها أمواجُ البحر ، وفي الكلية الجاثمة على الرابية بين أشجار الزيتون ، وفي الجامعة التي يُحيِّي بُرجها العالي قِمة صنين المكللة بالثلوج . نعم إنَّ هؤلاء الأساتذة هم الذين مهدوا أمامي طريق دمشق ، فأتيتها مسحورا بعُروبتها ، مفتوناً بالعربية لغة التعليم في جامعتها . وهنا في جامعة دمشق التي فتحت لي صدرها الرَّحب ، وبسطت لي كفيها السَّمِحتين ، قضيت من حياتي ما يُنيف على الأربعين عاما علِمت في خلالها وعمِلت وعلَّمت . وأخيراً فان إيحاءَ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خفيا من هذه الجامعة الحبيبة ، قادني الى هذا البناء التاريخي الذي يقوم فيه مجمع اللغة العربية بدمشق .

أيها السيدات والسادة ،

كان انتخابي لعضوية مجمع اللغة العربية بدمشق مقترناً بتكليفي لأكون خلفاً للعضو الراحل المغفور له الأستاذ الدكتور مرشد خاطر . وحين أقول تكليفي ، لست أستعمل هذه الكلمة بمعناها المجازى الشائع ، وهو الطلب والتفويض وإسناد العمل ، وانما أستعملها بمعناها الحقيقي ، وهو تحميل المرء مالا يطيقه وما يتجشّم فيه العناء والمشقة . وقد هالني هذا التكليف وأوقع الحَيرة في أمري ، اذ أين علمي النَّزر من ذلك العلم الوَفر ، بل أين هذا الجدول من ذلك البحر . ولكن إرادة المجمع الموقر لا تردّ وفضله لا يجحَد . فأنا اذن أحاول النزول عند رغبته ، والعمل بمشيئته ، مستعيناً بالله وبالعلم القاصر في قضاء ما أنيط بي من مهمة شاقة ، وما حُملت من تبعة ثقيلة . وتقضي تقاليد المجمع أن يتولى العضو الجديد إحياء ذكرى سلفِه بالقاء كلمة تروى سيرة حياته وتستعيد مايؤثر عنه من الفضائل والمكارم . ولعَمري لو لم يكن هذا التقليد الجميل بين تقاليد مجمع اللغة العربية بدمشق ، لكان لزاماً عليَّ في هذه المناسبة التي انضم فيها الى المجمع خلفاً للأستاذ خاطر ، أن أمجّد ذكرى ذلك الرجل الفذ الذي كان ملء الأسماع والأبصار خلال أربعين سنة قضاها في العلم والتعليم والعمل . وقد انتزع الأستاذ خاطر خلال هذه الفترة من حياته ، إعجاب الناس وتقديرهم وحبَّهم بما انطوى عليه من كرم الخلال ولين العريكة ، والذكاء والحكمة ، وصدقِ العروبة ، وعلو الكعب في العلم واللغة . وانني اذ أمتدح في الأستاذ خاطر هذه الخصال السامية والصفات النادرة ، غيرُ ناسٍ أن أصفه بالحكمة ، وأن أخاطبه بما قاله الشيخ خليل اليازجي في العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك ، أحد مؤسسي الجامعة الاميركية في بيروت :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لو استطعت جعلت البرق لي قلما والجوطرساوحبري الغيث حين همى
ورحت أملأ آفاق السماء ثنا عليك منتشراً طوراً ومنتظما
وانما العالم المفضال عن ثقة من علّم الناس لا من وحده علما
تدعى الحكيم وإن نعن الطبيب وإن لا نعنه فصحيح فيك كلهما

وقد كان الأستاذ خاطر نفسه يمجد الحكمة حتى أنه علّق في منزله لوحة جميلة كتب عليها القول المأثور « بالحكمة يُبنى البيت » . ولا غرو ، بعد أن كان الأستاذ خاطر ربيبَ مدرسة الحكمة ومارس الحكمة في جميع شؤونه ، أن تصدق عليه الآية الكريمة « يؤتي اللهُ الحكمةَ من يشاء ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتيَ خيراً كثيرا » (بقرة : ٢٦٩) .

أيها السيدات والسادة ،

ولد الدكتور مرشد ضاهر خاطر في سنة ١٨٨٨ من أسرة لبنانية في قرية بتاتر إحدى قرى قضاء الشوف بلبنان . وما إن شبَّ عن الطوق حتى أرسله والدُه الى مدرسة الحكمة في بيروت ، وهي المدرسة التي عُنيت منذ تأسيسها بتعزيز اللغة العربية ، فوكلت تعليمها الى كبار اللغويين والأدباء من أمثال عبدِ الله البستاني صاحبِ قاموس البُستان ، وشبلي الملاط الشاعر اللبناني الذائع الصيت . وعلى هذين الأستاذين وسواهما درس الأستاذ خاطر اللغةَ العربية وآدابها .

وأقبل الأستاذ خاطر على درس الطب بعد تخرجه في مدرسة الحكمة، فدخل كلية الطب الفرنسية في بيروت في سنة ١٩٠٦ ونال شهادتها في سنة ١٩١١ . وما نشبت الحرب العالمية الأولى حتى دُعي في سنة ١٩١٥ الى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني ، فعُيّن فيه برتبة رئيس . وفي سنة ١٩١٨ أسَره الجيش العربي ، ولكنه ما عتّم ان أطلق من الأسر مع سواه من الأطباء العرب فانخرط في الجيش العربي ، وعُهد اليه فيه برئاسة القسم الجراحي في مستشفى أبي الأسل، وهو المستشفى العسكري المركزي للجيش العربي ، ورُقّي فيه الى رتبة مقدم . وحين دخل الجيش العربي دمشق في أواخر سنة ١٩١٨ تولّى رئاسة قسم الجراحة في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المستشفى العسكري في هذه المدينة . وفي سنة ١٩١٩ انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعيّن أستاذاً للجراحة في المعهد الطبي العربي ، بعد أن أعادت الحكومة العربية افتتاحه وجعلت التعليم فيه باللغة العربية .

وقد كان من حسنات القدر أن درس الأستاذ خاطر اللغة العربية على الأستاذ عبدِ الله البستاني في مدرسة الحكمة ، فأتقنها وأولع بها ونشأ على الافتتان بمحاسنها ، وتولدت في نفسه بعد أن تمكن منها الغيْرة عليها والرَّغبة في تعزيزها ، ولا سيما بعد أن درس الطب وعلّمه ، فرأى أن اللغة العربية التي هي لغة دين قويم ، وأدب رفيع ، لا تزال مُقصِّرة في مجال العلوم المختلفة ، وأنها لكي تجاريَ سواها من اللغات الحية ، يجب أن تعودَ لغة علمٍ تتسع للمصطلحات الطبية والعلمية ، كما كانت في أرقى عصور الخلافة الاسلامية ، وفي ذلك يقول :

« لقد كانت هذه اللغة العزيزة منارةً استنار بها العالم حِقبةً طويلة من الدهر ، فنقلت اليها شتى العلوم من طبٍ وكيمياء وفلكٍ ورياضيات. غير أنَّ هذه اللغة الحية النشيطة ذوت أغصانها الرَّطبة ، بعد أن نضَب تسغُ العلم في عروقها ، وكاد يدركها الموت لو لم تكن لغة دينٍ يدين به الملايين من البشر ، ولو لم يكن القرآن الكريم يرعاها ويصونها . فاذا أردنا لهذه اللغةِ حياةً خالدة وجب على أبنائها العلماء أن يتعهدوها بماء العلم يجري في عروقها ، فتعود اليها نضارتها الباهرة وسناؤها الفاتن » .

ويتفق هذا الرأي الذي قال به الأستاذ خاطر من أنَّ القرآن درع اللغة المتين وحصنُها الحصين ، مع ما قاله الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي فإنه قال : « لولا القرآنُ لانشطرت العربية الى لغات شتى ، كما حلَّ باللاتينية التي انبثق منها عدد كبير من اللغات » .

وما كاد الأستاذ خاطر ينتسب الى معهد الطب بدمشق ، وهو المعهد الوحيد الذي يدرس فيه الطب بلغة الضاد ، لغةِ الآباء والأجداد ، حتى شمَّر عن ساعد الجِدّ ، وعكف على التأليف ووضع المصطلحات الطبية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية مع زملائه القلائل وعددهم لا يزيد على ١٥ أستاذاً ، تميز منهم في مجال استحداث الألفاظ الطبية أستاذانِ اثنانِ هما الأستاذ أحمد حمدي الخياط أمد الله بعمره ، والأستاذ جميل الخاني رحمه الله . قال الأستاذ حسني سبح عن هؤلاء الأساتذة الأبرار في مقال نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق :

« يعود فضلُ التدريس بالعربية الى أولئك الأساتيذ الذين وُسدت اليهم كراسي التدريس ، ومعظمهم ممن تخرَّج من احدى مدرستي الطب العثمانيتين في دمشق وفي اسطنبول . وكانت دراستهم بالتركية قد مهَّدت أمامهم السبيل الى التدريس بالعربية لأن المصطلحاتِ الطبية في اللغة التركية معظمُها عربي . وليس من الصعب رد الألفاظ التي شوَّهتها أو حرَّفتها الصياغةُ التركية الى وضعها العربي الصحيح . وانبرى ثلاثة من أساتيذ مدرسة الطب الى ايجاد المصطلحات الطبية العربية ، والى إرشاد زملائهم الى الألفاظ الصحيحة ، فكان لهم القِدحُ المُعلَّى في هذا المضمار ، وهم الأساتيذ مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وجميل الخاني ، فهؤلاء الثلاثة يعدون رجال الطليعة في هذا الميدان . وتلا هذه الطبقةَ رجالُ الطبقتين الثانية والثالثة وكلٌّ منهم جَهَد في رفع شأن اللغة وايجاد المصطلحات في الفرع الذي اضطلع بأعباء التدريس فيه . ويُعدُّ الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي ، وهو من رجال الطبقة الثانية، من المجلّين في هذه الحلبة ، اذ ما كاد يُنهي دراسته ويحوزُ شهادة الصيدلة ، حتى رأينا له المقالاتِ المتتابعة في مجلة المعهد الطبي العربي ، ثم رأيناه يشرعُ في وضع كتابه « مصطلحات علمية » ، وقد أعاد طبعه ثماني مرات » .

وثابر الأستاذ خاطر على التأليف بدون انقطاع حتى بعد تقاعدِه وانفكاكِهِ عن كلية الطب ، فاستطاع أن يؤلفَ أو يترجم في السنوات الأربعين من حياته التعليمية ، أي في الفترة الواقعة بين السنتين ١٩٢٤ و ١٩٦٥ ما يزيد على ١٥ مؤلفاً ، أكبرها كتاب الأمراض الجراحية الذي أصدره في خمسة مجلدات بلغ عدد صفحاتها ٥١٦٤ صفحة . واشترك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مع الأستاذين أحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي في نقل معجم كلارفيل الطبي من الفرنسية الى العربية ، وهو معجمٌ يشتملُ على ١٤٥٣٤ مصطلحا . ووضع مع الأستاذ أحمد حمدي الخياط باللغتين الفرنسية والعربية معجما ضخما للألفاظ الطبية ولأعلام الأطباء ، مع شرحٍ موجزٍ لكل مصطلح . غير أن الأستاذ خاطر توفاه الله لدى بلوغه في تأليف هذا المعجم حرف S ، فتابع الأستاذُ الخياط التأليفَ بنفسه ، مستعيناً بنجله النشيط الدكتور هيثم الخياط . وقد أدركت وزارة التعليم العالي السورية ، أنَّ هذا المعجم الذي دأبَ مؤلفاه على وضعه خلال خمسة عشر عاما على الأقل ، فجمعا فيه خلاصة جهودهما وجهود سائر أساتذة كلية الطب منذ تأسيسها الى الآن ، ستكون له حين صدوره قيمة علمية كبرى، فوافقت على طبعه ، وعهدت الى الدكتور هيثم الخياط بالإشراف على الطبع وباضافة مصطلحاتٍ انكليزية الى جانب ما في المعجم من المصطلحات الفرنسية والعربية . ولذلك فان المعجم حين الانتهاء من تأليفه وطبعه ، سيكون باللغات الثلاث ، وسيكون فيه لكل مصطلح تعريفٌ وشرحٌ وافيان على غرار ما نشاهده في المعاجم الطبية الأجنبية . وقد بوشر طبع هذا المعجم في مطبعة جامعة دمشق .

وفي مطلع سنة ١٩٢٤ عهد المعهد الطبي العربي الذي كان يرأسه المغفور له الأستاذ رضا سعيد مؤسسُ الجامعة السورية ورئيسها الأول، الى الأستاذ خاطر بأن يراس انشاءَ المجلة الطبية العربية التي قرر اصدارها باسم مجلة المعهد الطبي العربي ، وذلك بعد ما نشره الأستاذ خاطر من المقالات الكثيرة والآراء الصائبة في المجلة الطبية الأسبوعية التي كانت تصدرها وزارة الصحة في أوائل عهد الاستقلال باسمِ مجلة الصحة العمومية وبإشراف رئيس تحريرها المرحوم الدكتور حكمت المرادي . فأقبل الأستاذ خاطر على القيام بالمهمّة الشاقة التي نُدب اليها بعد أن جعل إحدى غاياتِ المجلة ، على ما كتبه في أول عدد صدر منها « خدمة اللغة العربية الشريفة التي أصابها من الهُون ما أصاب العرب أنفسهم ، بعد أن دالت دولتُهم ، وانحلّت عرى قوميتهم ، وصَمَتَ علماؤهم ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فنامت نومها العميق عن العلم قروناً عديدة . وإنَّ اللغة العربية على سعتها وكثرة اشتقاقاتها ، ليس فيها بعدُ ، تلك الأوضاعُ الجديدة التي ولدت بعد موتِ الطب عند العرب ، ولهذا كان العناءُ شديدا لخَلَفِ ذلك السَّلفِ في نَحت كلماتٍ سهلة المأخذ ، قريبةِ الفهم ، جامعةٍ بين السلاسة والمعنى المراد . ورُبَّ كلمةٍ واحدةٍ شغلت واضعها ساعاتٍ وأياما » .

وقد وجد الأستاذ خاطر في زملائه أساتذةِ المعهد أكبر عونٍ له في إصدار المجلة ، وتدبيجها بالرائع من المقالاتِ والترجمات ، فإن كلاً من هؤلاء الأساتذةِ الأبرار ، الذين يعدُّون روادَ تعليم الطب الحديث باللغة العربية ، كان يقوم بقسطه من الجُهد المشترك الذي كان للأستاذ خاطر أوفى نصيبٍ منه . وكانت ثمرةُ هذا الجُهد ، أن بلغتِ المجلةُ شأواً بعيدا في عالم الطب واللغة ، وتميَّزت بغزارةِ مادتها العلمية وسلامة لغتها العربية مما جعلها مجالا لغير أساتذة المعهد الطبي من كبار الأطباء واللغويين ، لا في سوريةَ فحسبُ ، بل في سائر الأقطار العربية . غير أنَّ المجلة توقفت عن الظهور في سنة ١٩٤٧ ، بعد أن صدر منها ٢١ مجلداً ، عدد صفحات كل منها ٦٤٠ صفحةً مُلئت بالبحوث الطبية وألوفِ المصطلحات باللغة العربية . فعسى أن تتهيأ في المستقبل القريب لكلية الطب بجامعة دمشق ، الوسائلُ التي تمكنها من اصدار مجلةٍ طبية جديدة تعيدُ سيرة مجلة المعهد الطبي المحتجبة .

وفي سنة ١٩٥٢ دعت الحكومة السورية الأستاذ خاطر لتقلُّد وزارةِ الصحة ، فوليَها ١٣ شهرا أظهرَ خلالها ما تفرَّد به من الحنكة والحكمة وحسنِ الادارة . وقد استطاع خلال عامٍ من توليه لوزارة الصحة ، أن يُنفذَ عدداً من المشروعات الهامة منها انشاء مركز لمكافحة السل في دمشق ، وآخر في حمص لمكافحة البَرَداء ، ومركزاً ثالثاً لرعاية الطفولة والأمومة في دمشق . والتفتَ الى المستشفيات فضاعف أسرَّتها وتجهيزاتها ، وأسَّس مدرسةً للتمريض في حلب ، وأوفد الأطباء الى البلدان الأجنبية ، وأتى غير ذلك من الأعمال الرامية الى رفع المستوى الصحي في سورية ، مما يطول شرحُه ويدعو الى العَجَب من إمكان تحقيقه في سنة واحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبوصفه وزيراً للصحة ، فان الأستاذ خاطر ترأس الوفد السوري في الدورة السادسة التي عقدتها الجمعية العامة لمنظمةِ الصحةِ العالمية في جنيف في أيار ١٩٥٣ ، فانتخبته اذ ذاك وفود الدول المشتركة في المنظمة وعددُها ثمانون دولةً رئيسا للدورة المذكورة . وهو حتى الآن أولُ رئيسٍ يرأس الجمعية العامة لهذه المنظمة من أبناء البلدان العربية . غير انه أُصيبَ وهو يدير اجتماعات دورة المنظمة بنوبةٍ قلبية مفاجئة ، فأنابَ عنه الدكتور مالفيل ماكنزي ، أحد نواب الرئاسة ورئيس الوفد البريطاني. وقد أحسن الدكتور ماكنزي قولا وواقعا حين اعتلى سدة الرئاسة وقال : « لقد كان على الجمعية العامة لمنظمتنا أن تعالج الكثير من المشكلات التي يخرج عدد كبير منها عن نطاق الطب ، ولكننا كنا نشعر خلال ذلك أن قيادتنا انما هي بيد رجلٍ حكيمٍ شديدِ التعمق في فهمه سرائرَ النفوس الانسانية » .

وعاد الأستاذ خاطر الى دمشق بعد تمائلهِ مما ألمّ به في جنيف . ومع أن صحته المتداعية أجبرته على ترك وزارة الصحة قبل أن يحقق كل ما عقد النية على تحقيقه من الأعمال الكبيرة ، فانه لم يخلد الى الراحة ، بل عاد الى حياة التأليف والعمل والتعليم . وكانت صحته قد زاد اعتلالها بعد انفصالهِ عن كلية الطب ، كما أن النوَبَ القلبية كانت تعاوده بين آنٍ وآخر . وعلى الرغم من أن صحته أصبحت في حالة تقهقر مستمر ، فانه كان يقضي معظم أوقاته مكبا على تأليفِ قاموسه المطوّل . وكأنه كان يشعر بدنو الأجل ، وأن ما بقي له من العمر لا يكاد يكفيه لإنجازِ عمله الكبير ، فكان حين يأنس في نفسه بعض القوة والنشاط ، يعودُ الى التأليف فيقضي فيه عدة ساعاتٍ من كل يوم . وقد كنت أتردد على الأستاذ خاطر في الأيام الأخيرة من حياته ، فاذا نظرت اليه ، رأيتُ كيف ينهدُ الجسمُ القوي ، وكيف تخمدُ جذوة النشاط المتوقدة . ويدركُ مايجول في نفسي حين أنظر اليه فيقول لي : « اذا شاخت خلايا الجسم فهل يمكنُ أن تعودَ الى الشباب » . وفي بعض الأحايين كان يأخذ القلم ليدوّن به خاطرةً خطرت في بالهِ ، فأنظر الى هذا القلم المتعثّر ، وأذكر ذلك القلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السبّاق كأنه الجوادُ في حَلبة السباق ، وانظر الى هذا الخطِّ المتعرِّج ، فأذكرُ ذلك الخطَّ الذي كان يستهوي الناظر بانتظامه وانسجامه . وبقي رحمه الله على هذه الحالِ الى أن أصيب في أثناءَ رقاده بنزفٍ دماغي سَبَّب وفاته في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٦١ .

وقد خلّد اسم الأستاذ خاطر بأن صنعت نُخبة ممتازة من زملائه وتلامذته مداليةً برونزيةً تذكارية عليها صورته واسمه ، كما أنَّ أمانة العاصمة عرفت قدرهُ فخلّدت ذكراه بإطلاقها اسمهُ على الشارع الكبير الموازي لشارع بغداد . وأما كليّة الطب التي عَرَفت فضله ، فإنها أطلقتِ اسمهُ على قاعة العمليات في مستشفى الكلية ، وعلى أحدِ المدرَّجات التعليمية في مستشفى المؤاساة . وأقامت له جامعةُ دمشق في ١١ كانون الثاني ١٩٦٣ حفلاً تأبينياً عدَّد فيه الخطباءُ مآثره ومزاياه ، فصدق عليه ما جاء في الانجيل الشريف : « وأمَّا مَنْ عمِلَ وعلَّمَ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٩) .

أيها السيدات والسادة

قد يعجَبُ المرء أوَّلَ وهلة ، من انضمام الأستاذ خاطر الى كلٍّ من المجمع العلمي العربي والمعهد الطبي العربي في سنة ١٩١٩ ، أي خلال السنة الأولى من اقامته في دمشق . وإنَّ المرءَ ليتساءل كيف أصبح الاستاذ خاطر مجمعياً وأستاذاً جامعيا ، ولمّا تظهر بعد مؤلفاته التي اكتسب بها شهرته الواسعة ومنزلته الرفيعة . فان مجلة المعهد الطبي العربي التي رأس انشاءها ، صدر مجلّدُها الأول في سنة ١٩٢٤ ، وظهر كتابه الأول ، وهو اصلاح النسل ، في سنة ١٩٢٥ . والجواب عن هذا التساؤل هو أن الأستاذ خاطر بعد وصوله دمشق مع الجيش العربي الظافر في أواخر سنة ١٩١٨ ، استطاع في أقلَّ من سنة واحدة أن يبنيَ لنفسه شهرةً بعيدة كاتباً وعالماً ولغوياً ، بما كتبه من المقالات وبما ألقاه من المحاضرات ، مما لفت اليه الأنظار ودعا مؤسسي المجمع العلمي العربي، وعلى رأسهم الأستاذُ الرئيسُ محمد كرد علي الى ضمّه الى مجمعهم مع سواه من العلماء الأعلام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أثبت الأستاذ خاطر منذ كتابته المقالةَ الأولى في صحف دمشق، ومنذ المحاضرة الأولى التي ألقاها من على منابرِ دمشق ، أنّه ذلك الأديب الذي يكتُب بلغة العلم ، والعالِمُ الذي يكتُب بلغة الأدب . وأما أسلوبه في كلا العلم والأدب ، فيمتاز بالوضوح ، وبسلاسة اللفظ وسلامته ، فترى عباراته تتلاحق برفقٍ كأنها الجدول الهادىء ، وتتتابع حِذرة من أن يشوِّشها حشوٌ ، أو يشوِّشها لغو وتعقيد . وهو بين آن وآخر يأتي باللفظ الجزل الذي يزيد جمال كتابته جمالا ، ويُضفي على رونقها رونقا ، فيبدو هذا اللفظ الجزل الذي يرصِّع به كلامه كأنه زهرة الشقيق الحمراء في الخميلة الخضراء . فهو اذا وصف جريحا متألما فانه يقول : « شابٌ بَدنٌ قوي البنية غيرانه خاسفُ اللون ، تتقلّصُ عضلات وجهه آونةً بعد أخرى ، نامّةً على الآلام التي يقاسيها ، ويتنهد تنهدات عميقة للزِّلة التي يعانيها . في أعلى البطن والى اليسار من الخط المتوسط بنحو من سنتمترين ثقبٌ صغير مدور ، هو مدخل المرمي الذي اخترق بطنه ، وفي الورب الأخير ، وعلى امتداد الخط الإبطي الخلفي الأيسر ، ثقبٌ آخر متسع مشرشَر الحافات، هو مخرج المرمي . البطن خشبي لا يتنفس ، والألم منتشر فيه ، غير أن أشده في الخاصرة اليسرى ، وخَرس في الحفرة الحرقفية اليسرى بالخاصة وتوتر خفيف في رتج دوغلاس ... وبعد التوسط الجراحي فان الآلام المُبرحة التي كان يشكوها الجريح هجعت ، حتى انها كادت تزول ، والأقياء غابت ، وتقفّع البطن وجموده وألمه المحدث امحت ... » .

وبما أن الأستاذ خاطر كان رئيسا لإنشاء مجلة المعهد الطبي ، وكان في المعهد بعض الأساتذة الفرنسيين ، فكان إذا نقل الى العربية مقالا كتبه أحد هؤلاء الأساتذة لنشره في المجلة ، لما لمست فيه آثار الترجمة ، بل ظن لما تتصف به الترجمة من السلاسة والانسجام ، انه إنشاء عربي أصيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واذا انتقلنا الى الموضوع الذي كان الأستاذ خاطر يحب أن يطرقه بين الفينة والفينة ، وهو موضوع دمشق ومعهدها الطبي لسمعناه يقول :

« دمشق الحديثة ، مدينتنا الزاهرة التي أنبتت هذه الزهرة الفائحة الأريج ، لم تنسج إلا على منوال دمشق القديمة التي كانت تجعة لرائدي العلم في العصور العربية السالفة ، ونجماً متألقاً في سماء الحضارة تستضيء به الشعوب قاصيها ودانيها . فقد ضمت بين أسوارها الفخمة في عصور الحضارة الاسلامية ، خمسة معاهد للطب في آن واحد . . . واننا نؤمل أن لا تمر سنوات قليلة على معهدنا الطبي ، ولغتنا العربية ، حتى يصبح غنياً بالمؤلفات وتغدو العربية لغة طبية تسهل الكتابة بها فلا ينفر منها أطباؤنا وعلماؤنا ناظرين اليها نظرة التقصير عن إيفاء المراد ، فما اللغات الا مقياس درجة الرقي في الشعوب ، فمتى كانت اللغة حية علمية راقية ، كان الشعب الذي ينطق بها راقياً ، والعكس بالعكس . . . » .

ويقيني أن الأستاذ خاطر ترك هذه الدنيا ونفسه راضية عما استطاع تحقيقه مع رفاقه الأبرار من جليل الخدمة للغتنا العلمية . أو ليس هو القائل في احدى رسائله الأخيرة :

« أنا رجل ألقى به الدهر على صعيد الطب ، واتجه به اتجاها جديدا في هذه الحياة ، فألّف وطبع من المؤلفات الطبية عدداً عديداً ، لا يكاد يُصدق عقل أن فرداً يتمكن من اصداره في هذه الحقبة القصيرة من الحياة ، اذا لم يتذرّع بالجلد والصبر . . . » .

ألا إن هؤلاء الرواد الأبرار الذين كانوا أول من عمل في حقل التأليف وتعليم الطب باللغة العربية ، ستخلد أسماؤهم في تاريخ الطب العربي ، ولكن اسم الأستاذ مرشد خاطر ، سيبقى في طليعة هذه الأسماء الخالدة ، وسيبقى ذكره على الدهر ، مقروناً بالاعجاب والإكبار ، ومحاطاً بهالة من الاعتزاز والفخار . وستبقى حياته النيّرة الخيرة عظة بليغة ، ومثالا نبيلا يقتدي بل كل من أراد من أبناء هذا الجيل الصاعد أن يخدم بلاده وأمته عن طريق العلم ، وشاء أن يقرن العلم بالعمل ، وان يعمل بالإخلاص والحكمة ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » (توبة : ١٠٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أكرر شكري للرجال الكرام أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق على انتخابي عضوا في مجمعهم الزاهر ، وأرفع جزيل الشكر الى سيادة وزير التعليم العالي والى حكومة الجمهورية العربية السورية لإقرارها هـذا الانتخاب ، فقلدتني بذلك شرفاً عظيما ، وأتاحت لي فرصة الوقوف على هذا المنبر لأمجد ذكرى رجل عربي كبير ، عاش وعمل ومات في سبيل العروبة . وأسأل الله أن يأخذ بيدي ويسدد خطاي مع زملائي أعضاء المجمع ، وأن يمنحني القوة لأكمل طريقي وأبلغ غايتي ، جاعلا شعار العمل والخدمة نصب عيني ، والله الهادي الى سبيل الرشاد .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net